العيد

المطران جورج خضر

قبل الميلاد تتوالى أعياد تهيئ له كأن الإنسان يريد ان يستبق الذكرى الكبيرة باحتفالات جزئية هروباً من رتيب أيامه ليذوق شيئاً من الأبدية قبل ان تحل اذ يبدو للكنيسة ان من نعيد لهم قبل الميلاد يذيقوننا بعضاً من ميلاد يكثر فينا الفرح. أليس العيد تنطحاً لتجاوز الزمان في إحلال شيء من الأبدية؟ هذا هو الرجاء الذي يحيينا. العيد قائم على ان الحقيقة التي تجلت في الماضي لا ينبغي ان تزول اذ نزلت فينا ولنا ان نحييها على الرجاء.

الإنسان يتوق إلى امتداد في الحقيقة. لذلك يريد ان يكسر الزمان على رجاء الأفضل. يظن ان جديده هو الأفضل. لذلك يخلق شيئاً جديداً هو العيد وهو ليس كالأيام لأنه يحمل الذكرى وينقلها. والذكرى ليست استعادة الماضي اذ لا يستعاد. انها تذكر الدائم، توق إلى الأبدي. العيد اعتراف بأن الحقيقة التي أتى بها الماضي لا تزول. لذلك كانت الأعياد. قناعة الإنسان ان الحقيقة التي حملها الماضي المبارك قائمة ويمكن احضارها في الآن. هذا ما يعنيه التذكر.

يظن الانسان انه يكسر رتيب الماضي. المهم ألا يرى نفسه سجين ما انقضى من أيام أو ما يعيشه من أيام. المهم ان يلتقي ما هو دائم، ما هو أبدي. يضجر المرء من زمانه لأن كل زمان متعب ويخيل إليه ان العيد ليس من زمان، انه من الحقيقة. العيد اذاً حرية، انعتاق مما يتكرر لاقتبال الثابت الإلهي. واذا آمنا بثابت إلهي لا تهمنا أوجاعنا وهمومنا اذا حل العيد لأنه هذه ليست منه اذ هو ينزل علينا من فوق. يؤرخ للعيد في التقويم لكن أحداً لا يحس انه يأخذه من التقويم. أنت لا يهمك ان يحل الفصح في هذا التاريخ أو ذاك. يهمك معناه. الزمان مركبة للمعنى الإلهي فقط. لذلك كان من السخف الاقتتال حول تاريخ العيد اذ كنا واقفين في العيد لتلقي معناه. طبيعي ان يتجلى الفصح في يوم واحد اذ الناس يعيشون في الزمان ولكن الأجمل ان يتربى الناس على المعنى الفصحي، ان يكونوا هم فصحيين.

والأجمل من كل ذلك ان نصبح قياميين كل يوم، رافضين للموت، لكل أنواع الميتات لتصير القيامة فرح الكل. أليست توبتك قيامة؟ ربما كان هم المسيحيين الأول الفرح. لذلك ما كانوا يرتدون السواد في موت عزيز. فاذا رأيتهم في ثياب بيض تعرف ان أحداً من عائلتهم أو أعزتهم قد توفى. كان الموت يعلن لهم القيامة. بالإيمان فقط أنت تخلص من حزن حلّ فيك. الخيال ينطفئ بعد لحظات. طوبى لذلك الذي اختبر ان الإيمان ليس من الخيال.

عندما ينزل عليك ما يعزيك إعلم ان الرب افتقدك. الله عنده رسائل. اصغ إليها لتفرح وقد تحس بأن الله التمسك ويرجو ان تلتمسه. عندما تضع الكنيسة في كل يوم ذكرى لقديس أو أكثر تريد ان تقول لك ان القديسين عشراؤك وانك لست وحدك في الكون. هي توحي ان اليوم الذي أنت فيه انما انسكبت فيه الأبدية وانك تحررت من وطأة الزمان ان كنت نبيها. من هذه الزاوية أنت تحيا زمانك مليئًا بالأبدية. لذلك تربيك الكنيسة كل يوم في ما تلقته من الأبد وترميك في كثافة الأبد. تنتشلك من وطأة المألوف والرتيب لتجعلك في المذهل. أنت في الكنيسة مقيم في الزمان والأبد معاً وتعلّم أهل زمانك ما نزل عليك من فوق. كل مؤمن رسول إلى زمانه اذ يقول ما سمع من السماء.

العيد ينزل من السماء ويشق حجب الكون ويأتي إليه بما هو فوقه. لذلك ما كان المؤمنون من الأرض وحدها. يحلون عليها ما جاءهم من نعمة ربهم. المؤمنون لا يحتلهم شأن الأرض. انهم ينتمون إلى عالمين، إلى ما يرى وما لا يرى فإذا رأيتهم وسمعتهم في العيد تحس انهم يخاطبونك بلغة الملائكة.

فإذا امتاز العيد عن مألوف الأيام تكون أنت خارج أيامك.

©2013 Orthodox Christian Archdiocese of Mount Lebanon